بسم الله الرحمن الرحيم

تلخيص كتاب
" اعترافات علماء الاجتماع "
عقم النظرية وقصور المنهج
للمؤلف / أحمد خضر

تلخيص ونقد
ا/ هند العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

في احد المواقع نجد أن هناك عنوان غريب ومثير للجدل وهو " أكاديمي سعودي يحارب علم الاجتماع " في كتاب " اعترافات علماء الاجتماع " والأشد غرابة أن المؤلف، مختص في علم الاجتماع وله خبرة أكثر من ثلاثين سنه

والأمر أن هذا الكتاب لم يعقب علية أي مختص في علم الاجتماع عند هذا الموضوع وقفنا وحاولنا قرأت الكتاب وتلخيص أهم الأفكار الموجودة فيه

ففي هذا الكتاب يعرض أحمد خضر كتابة " اعترافات علماء الاجتماع " في واحد وعشرين فصلا .

ففي الفصل الأول عرض عدة حقائق أقر بها رجال الاجتماع في بلادنا وفي بلاد الغرب وهي كتالي :

الحقيقة الأولى: هي أن علم الاجتماع هو شعوذة الأزمنة الحديثة

فيعتقد الطلاب أن علم الاجتماع يساعد على بلورة اهتمامات و قيم الطلاب الذين يلتحقون به وأنهم سوف يلتمسون قضايا المجتمع الحقيقة ، ولكن سوف يجدون أن المحاضرات والمؤلفات والكتب والمداولات والنقاشات تنتمي إما إلى مجتمعات غربية أو شرقية ، وفوق هذا لا يجدون في المقررات الدراسيةِ والأنشطة العلمية ما يروي غليلهم ، فيصابون بالإحباط وخيبة الأمل.

الحقيقة الثانية: هي أن تدريس علم الاجتماع في بلادنا لا يعد ضرورة من ضرورات المعرفة والواقع ، وانه لو ألغي هذا الاختصاص من جامعاتنا فإن غيابه لن يكون نقصا ولا تخلفا معرفيا ،و أقر بهذه الحقيقة الطاهر لبيب و سعد الدين إبراهيم .

الحقيقة الثالثة: هي أن النزعة العلمية في (علم الاجتماع) نزعة مزيفة وان الشروط العلمية التي حددها العلماء في أي معرفة لكي تكون علما لا تتوافر في (علم الاجتماع).

الحقيقة الرابعة: هي أن علم الاجتماع (علم) استعماري بطبيعته ، هدفه الأول ضرب الدين والعقيدة بصفة عامة ، والإسلام وشريعته بصفة خاصة ، فأقر رجال علم الاجتماع في بلادنا بأن علم الاجتماع تابعا للعقل السوسيولوجي الغربي. وتركت أهدافه منذ نشأته في محاربة الإسلام وشريعته ، وتشجيع ملامح الحضارة الغربية ما قبل الإسلامية

الحقيقة الخامسة : إن رجال الاجتماع في بلادنا لا ينتجون علما حقيقا وإنما يستوردون الأفكار فالنظريات والدراسات الأجنبية لا تصلح لنا فهي ذات أهمية في البلاد التي نشأت فيها فقط.

بعد ذلك يعرض اعترافات لرجال الاجتماع عن حقيقة و أوضاع علم الاجتماع في بلادنا واستدل بأقوال عدد من علماء الاجتماع مثل (محمد عزت حجازي، علي الكنز ، سالم ساري وغيرهم) واجمعوا على عده نقاط

1- أننا لا ننتج علما حقيقيا و إنما نستورد ونستهلك بدون تبصير

2- تحول معظم المشتغلين بعلم الاجتماع إلى مفكرين بأ جر يبحثون ويدرسون ويكتبون في حدود ما يطلب منهم ويؤجرون عليه .

3 – أن هناك إشكالية المنهج في علم الاجتماع في الوطن العربي تكمن في اختيار مداخل منهجية قاصرة واستعمال أساليب بحث وأدوات جمع معلومات بطريقة غير سليمة .

4- بان النظريات الغربية لم تعطنا الأدوات اللازمة لمعالجة قضايا واقعنا ، لعدم ملائمة النظريات الغربية لبيئتنا وخطا رجال الاجتماع في بلادنا في

نقلها إلينا دون النظر إلى خصوصية هذا النظريات ، والأمر أن رجال الاجتماع في بلادنا تأثروا بالنظريات المنقولة أكثر من تأثر أصحابها بها

5- وعن ناتج الجهد في البحوث الاجتماعية يقول عزت حجازي : (ولهذا تنتهي معظم الدراسات والبحوث الاجتماعية بعدد يكون هائلا في بعض الحالات – من الجداول – تتوزع فيها المعلومات أو المادة الميدانية ، ويعلق عليها بوصف موجز يلخص ما يتضمنه كل جدول. وقد تضاف فقرات تشير إلى الاتجاهات العامة التي تنطوي عليها المادة الميدانية. ويأتي ناتج الجهد هزيلا لا يضيف كثيرا، وقد لا يضيف شيئا إلى ما يعرفه الإنسان المثقف ، بل والعادي عن موضوع البحث ،(وأنا أرى بأن هذا غير صحيح ليست كل الدراسات الاجتماعية والبحوث على مستوى واحد صحيح هناك بحوث ضعيفة لكن لا نعـمم ذلك على كل الدراسـات الاجتماعية مثلا الدكتور عبد القادر عرابي يرى بأن البحوث والدراسات الاجتماعية تغلب عليها صفة الضعف لكن لم يعمم ذلك وأشاد بعدة دراسات مثل دراسات علي الوردي ، وجواد طاهر ومصطفى شاكر ومحمد الرميحي وغيرهم)

6- يرد عزت حجازي على الادعاء بان مشكلة علم الاجتماع في بلادن ا ترجع إلى حداثته فيقول بالوقت تتطور كافة العلوم وتكون أكثر كفاءة ولكن تطور علم الاجتماع في الوطن العربي على مدى أكثر من نصف قرن ، وشواهد أخرى ، لا يوحي بان الوقت هو سر الأزمة .

فما سبق هو عرض لاعترافات بعض علماء الاجتماع في بلادنا ونلاحظ بأن جمعيها تجم ع على أن علم الاجتماع علم مستورد من الغرب وأنا أرى بأن هذه ليست إشكالية فالمفترض بأخذ منهم العلوم والأفكار التي تناسب

مجتمعاتنا ولكن الإشكالية أننا نقلنا كل النظريات إلى مجتمعاتنا دون مراعاة خصوصية المجتمعات وترجمنا كتبهم بشكل حرفي وأخذنا مفاهيم غربية لتحليل مجتمعاتنا ولم نطور مفاهيم خاصة بنا مما يعني الضعف المعرفي والفكري لعلماء الاجتماع في بلادنا

إذاً الدكتور أحمد خضر يؤكد على أن علم الاجتماع علم مستورد من الغرب وليس ذلك فحسب بل أنة في ص (43) يرى بأنه علم أوربي تأسس على يد معتوه فرنسي اسمه " أوجست كونت " ، وأن أفكار علماء اجتماع الغرب التي تدرس في جامعاتنا بما فيها الجامعات الإسلامية لا تنفصل مطلقاً عن التيارات الفكرية والأخلاقية السائدة في بلاد الغرب ، وأن الأنشطة الفكرية والنظريات الكبرى لعلماء الاجتماع تمت في أثناء أزمات سياسية اقتصادية مرت بها الم جتمعات الغربية ، ويعني ما سبق حسب رأيه أننا لا شأن لنا في بلادنا بأفكار هذا المعتوه وأن رجال الاجتماع في بلادنا أكثر عتاهة من "كونت " لأنهم قبلوا المقولات التي تطورت ونشأت في هذه المجتمعات

ويرجع أحمد خضر عتاهة " أوجست كونت " إلى الفلسفة الوضعية التي تعني إحلال الروح العلمية محل الروح الدينية ، وأن مهمة علم الاجتماع هي أن يكشف عن سلسلة التحولات المتتابعة للعنصر الإنساني الذي يبدأ من مستوى لا يرقى عن مجتمعات القردة ثم يتحول تدريجيا إلى حيث يجد الأوربيون المتحضرون أنفسهم اليوم . (وأنا لا أؤيد كلمة معتوهة "

فيظل مفكر مجتهد وله إسهامات لكن أوجست كونت قد ظل في هذا التفسير ومن أسباب ضلال الرجل أنه وجد في وقت وزمان كان الناس في حالة افتتان بالعلم وانصراف عن الدين. إذ من المعلوم أن القرون الميلادية : السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر كانت كلها قرون افتتان الناس بالعلم، وانتشار الفلسفات والنظريات الإلحادية، وكان الرجل في هذا ابن بيئته وزمانه ومجتمعه ، فكان ملحداً شديد الإلحاد ,مفتوناً أشد ما يكون الافتتان بالعلم المادي وطرائقه من الملاحظة والتجربة والفروض والقوانين وغير ذلك . وقد ظن الرجل– كما ظن معاصروه – أن الدين إل ى زوال وأن الإلحاد إلى انتشار وشمول، ولكن الذي حدث إنما كان على عكس ما توقع الرجل ومتابعوه على وضعيته .

فإنه من بدايات القرن العشرين بدأ الناس يثوبون إلى أديانهم، كل إلى دينه، وبدأت مسيرة الإلحاد تبطئ وتتلاشى تدريج ياً، حتى عاد الأمر طبيعيا، وبدأ الكثير من أصوت الماديين تختفي أو تضع أيضا كونت أخطأ خطاً كبيراً لأنه وضع نظرياته وآراءه لمجتمع واح د من المجتمعات البشرية، ولفترة زمانيه معينة من تاريخ هذا المجتمع فكانت آراؤه فاسدة، وجميع نظرياته فاشلة ،ولكن لو عاش كونت بضعة عقود فقط لرأى وعاش فشل جميع آرائه)**.م(مزروعة** ،

1427:ص231)

أيضا يذكر أحمد خضر مثالاً أخر من علماء علم الاجتماع وهو " إميل دور كايم " حيث يرى بأنه معتوهاً كأستاذة وأن الأمر أن أساتذتنا وطالبنا يهيمون إعجابا بدور كايم وكانت رسائل الماجستير والدكتوراه تعرض وتشرح وتفسر بإعجاب شديد أراه وأفكاره

ويضرب أحمد خضر عن خطر أفكار " إميل دور كايم " وهو أن إميل دور كايم قد أجرى دراسة عن الدين في عشيرة استرالية بدائية وخرج بنتائج قال أنها صالحة للتطبيق على مختلف المجتمعات وفي مختلف الأزمنة وكانت هذه العشيرة التي درسها دور كايم تعبد " التوتم "تطلق كلمة (توتم - Totem) على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة ما رمزاً لها ولقباً لجميع أفرادها ، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزله وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس، فإذا كان النسر – مثلاً – توتماً لعشيرة ما، فمعنى ذلك أن هذه العشيرة تتخذ هذا الحيوان رمزاً لها يميزها عما عداها من العشائر ، ولقباً يحمله جميع أفرادها للدلالة على انتمائهم إليه، وتعتقد أنها هي وفصيلة النسور من طبيعة واحدة، وتتألف – من أفراد العشيرة ومن أفراد هذه الفصيلة الحيوانية وحدة اجتماعية أو ما يشبه الأسرة الواحدة وتنزل هذا الحيوان وما يرمز إليه منزلة التقديس، وتقوم جميع عقائدها وطقوسها الدينية على أساس من هذا التقديس .

لقد عثر الباحثون في أول الأمر على مظاهر كثيرة لهذه العقيدة بين السكان الأصليين لأمريكا خاصة بين الهنود الحمر الذين يتألف منهم معظم السكان الأصليين لأمريكا الشمالية، ومن ثم أطلق على الأصل الحيواني أو النباتي

الذي تقوم عليه هذه العقيدة نفس اللفظ الذي كان مستخدماً في هذا المعنى لدى بعض عشائر الهنود الحمر وهو لفظ توتم

يرى دوركايم أن في معظم القبائل الاسترالية نظاماً له أهمية عظيمة في الحياة الاجتماعية وهو العشيرة ويميز العشير ة صفة هامة هي أن أفراد العشيرة يعتبرون مرتبطين برابط القرابة، ولم تنشأ هذه الرابطة عن صلات الدم أو المصاهرة أو غيرها، وإنما نشأت عن إطلاق اسم واحد عليهم أما السبب في اعتبارهم أسرة واحدة، فذلك لأن أفراد العشيرة لهم نحو بعضهم بعضاً نفس الواجبات أو الحقوق التي لهم نحو آباءهم وأقربائهم، يساعدونهم ويشاركونهم في كل شيء ولا يتزوجون منهم وهذا الاسم الذي تحمله العشيرة هو اسم نوع معين من الأشياء المادية – التوتم – تعتقد العشيرة أن لها به أوثق الصلات، وتوتم العشيرة هو توتم كل فرد من أفرادها، ولكل عشيرة توتمها الخاص بها، فلم يحدث قط أن يكون لعشيرتين مختلفتين في قبيلة واحدة توتم واحد، أن العشيرة لا تتميز إلا بتوتم، وكل من يحملون التوتم في القبيلة يكوّنون عشيرة، بل إن الأمر يعدو ذلك فقد يحمل التوتم أفراد لا من قبيلة واحدة إنما من قبائل متعددة، فيكونون برغم هذا، عشيرة واحدة، يشعر الواحد منهم نحو الآخر بشعور الصلة والقرابة وإذا ما حملت وحدتان اجتماعيتان نفس التوتم، فليس معنى هذا أنهما عشيرتان بل إنهما قسمان لعشيرة واحدة، فكثيراً ما يتصادف أن لا تسكن عشيرة من العشائر في مكان واحد، إنما ينتقل جزء منها ويبقى جزء، فتتوزع العشيرة في مكانين، ولكن وحدتهما باقية بدون أي اعتبار مكاني أو جغرافي. م(مراد ،2000 :ص63)

وان الذي تعلمتاه من أساتذتنا وهم يشرحون لنا هذه النظرية المدمرة للدين هو أن التوتمية الصورة الأولى للحياة الدينية وهي أقدم أشكال الدين وأنها تفسر وجود الله والعالم من وجه ة النظر الاجتماعية وتعلمنا أن الإلوهية ترجع إلى أصل توتمي وأن الإلوهية ما هي إلا فكرة وان هذه الفكرة ليست عنصر مميز للحياة الدينية وأن الدين لم يبدأ بالآلة ، ثم تعلمنا أيضا أن الإلوهية كفكرة متغيرة من حيث الزمان والمكان وأن فكرة الله في ذاتها في حاجة إلى شروط الثبات والمعقولية ، وتعلمنا إن حقائق الدين تصدر من المجتمع على اعتبار أنها مصادر اجتماعية تعلمنا إن المجتمع هو الذي يفرز الدين ، بمعنى أن هذا اليهودي دعا إلى قيام دين وضعي علماني ، بل أن رواد علم الاجتماع في بلادنا بلا فهم ولا بصيرة يترجمون إلى العربي ة ما كتبة هذا اليهودي عن " التربية الأخلاقية " بلا اعتراض أو تعليق حيث ركز " دور كايم " في هذا الكتاب على سحب الأخلاق من القاعدة الأساسية التي تركز عليها وهي الدين . ترجم هذا الكتاب " السيد بدوي " وراجعة " علي عبد الواحد وافي " رغم الإخطار الموجودة فيه

بعد ذلك وضح أحمد خضر في الفصل الرابع والخامس والسادس الدور الذي لعبتة الماسونية في هدم الخلافة الإسلامية وعلى دور سان سيمون مؤسس علم الاجتماع في ضرب الإسلام وتغريب المسلمين إفساد المرأة المسلمة وتدمير مصر اقتصاديا واجتماعيا وتطبيق

الأفكار الشيوعية بها وسيطرتهم على مقدرات مصر وعلى حاكمها ثم إغراقها في الديون تمهيداً لاحتلالها وتأسيس دولة إسرائيل ، وإن هذا كله ليشهد مصداقا لما قاله الشهيد " سيد قطب " بأن المعركة بيننا وبينهم هي معركة عقيدة وإن حقيقة الاعتداء فيهم أصيلة تبدأ من نقطة كرههم للإيمان

فللماسونية هي (حركة تنظيمية ذات طابع عالمي ، ولكنها ذات هدف يهودي على وجه التحديد وتكرس كل صور العصر وأدواته للحفاظ على الإنسان اليهودي وتمكنه من السيطرة على مسار المجتمعات الإنسانية وتوجيه خطاها بالتحرر من كل ضوابط الإيمان بالله وهي في أصلها مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكل ما هو ماسوني ما هو إلا تجسيد للعامل اليهودي وهي في معتقداتها ومثلها ولغتها وتنظيمها تعبر عن الروح اليهودية وتتطلع إلى الآمال التي تتطلع إليها إسرائيل وتدعمها)

أما "سان سيمون " فهو مفكر فرنسي كان منذ طفولته ميالاً إلى التحرر م ن الدين ومن سلطة الأسرة وكان يرى أن الدين ما هو إلا اختراع قامت به الإنسانية والعلم عنده هو الذي يجب أن يكون ديانة المستقبل ، وقال أيضا إن الدين يصاب بالشيخوخة مثل المؤسسات الأخرى وهو مثل المؤسسات الأخرى بحاجة إلى أن يتجدد بعد فترة من الزمن .

ويظهر اتجاه سان سيمون المادي الإلحادي على النحو التالي :

1 – يرى سان سيمون أن الإنسان هو الذي اختراع الله مدفوعاً بدوافع مادية

2 – اقترح سان سيمون تكوين جمعية من واحد وعشرين عضواً لتمثيل الإرادة الإلهية في هذا الكون

3 – ارتبط هدم سان سيمون للدين بهدم الأخلاق القائمة على الدين بمعنى إعادة بناء الأخلاق على أسس جديدة

4 – بعد أن قضى سان سيمون على الدين والأخلاق القائمة عليه أبرز دور الفن وهذا السلاح الماسوني المهم وقال إن الفن سيسهم في صياغة الأخلاق القائمة في المجتمع وسيشكل المعتقدات والآراء والمشاعر

5 – أسس سان سيمون مذهب " الوضعية " هذا المذهب الذي انخدع به علماء الأزهر في بلادنا وكان أحد المعاول المهمة التي قضت على دولة الخلافة الإسلامية ويمثل هذا المذهب مدرسة قائمة بذاتها في علم الاجتماع

وقد كان مذهبا معروفا في القرن السابع عشر ولكنه لم يكن معروفا بهذا الاسم ويعني المذهب الوضعي عند سان سيمون بتطبيق المبادئ العلمية على جميع الظواهر الطبيعية والإنسانية وفهمها في ضوء هذه المبادئ مجردة من الدين تماما

وكان سان سيمون مقتنعا بأن المعرفة الأساسية قد تطورت عبر ثلاث مراحل هي المرحلة "اللاهوتية أو الدينية " بمعنى تفسير الظواهر تفسيراً دينياً أي الرجوع في تحديد علة الظواهر إلى الإله ثم تأتي المرحلة " الميتافيزيقية " أي ماوراء الطبيعية وهي تمثل تطورا بسيطا عن الحالة الأولى كالاعتقاد في أن النجوم تسير في دوائر لأن الدوائر هي أكمل

الأشياء والرحلة الأخيرة هي " الوضعية " التي تفسر الظواهر بنسبتها إلى القوانين التي تحكمها والأسباب المباشرة التي تؤثر فيها والاعتماد على الملاحظة والتجريب

أما عن دور الماسونية المباشر في القضاء على الخلافة الإسلامية لسبب ما فيحكيه السلطان عبد الحميد بنفسه قائلاً ((إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما ، سوى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم " جمعية الاتحاد والترقي ، اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة ، أن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ورغم إصرارهم لم أقبل وأخيرا وعدوا بتقديم 150 مليون ليرة إنجليزية ذهبا فرفضت ه ذا التكليف أيضا)) وجمعية الاتحاد والترقي هذه التي يتحدث عنها السلطان عبد الحميد تأسست في بادئ الأمر في باريس على يد جماعة من الشبان الأتراك الذين تشبعوا بالأفكار الفرنسية وأمعنوا في دراسة الثورة الفرنسية وأخذت هذه الجمعية تعقد الجلسات السرية وتهيئ للثورة ضد الخلافة وظلت كذلك حتى عام 1908حيث قامت بالانقلاب واستولت على الحكم

خلاصة ما سبق أن "سان سيمون " أسس مذهب الوضعية الذي كان أحد أسباب هدم الخلافة الإسلامية وهو نفس ما سعت إلية الماسونية التي كانت وراء جمعية الاتحاد والترقي إلى أن سقطت الخلافة

ففي الفترة التي خطط فيها للقضاء على الخلافة الإسلامية كان محمد علي والياً على مصر ، واحتضنته فرنسا احتضاناً كاملاً ، فأنشأت له جيشاً

مجهزاً بأحداث الأسلحة ، وبشرط وهو أن ينفذ لهم محمد علي مطالبهم ، وكان أهم مطلب هو تطبيق سياسة التغريب في مصر ، وبمعنى أكثر تحديداً هو أن ينقل مصر من المرتكز الإسلامي إلى شي آخر يؤدي في النهاية إلى الخروج من حيز الإسلام كلية ، وهذا الخروج من الإسلام اعتبره العلمانيون في بلادنا مكسباً وإنجاز حققه محمد علي لمصر .

فأسس الفرنسيون في مصر 29مصنعاً وأنشئوا مدرسة للهندسة العسكرية ، وأنشئوا أيضاً وسائل النقل الحديدية ، وبحثوا عن المعادن واستغلالها ، وأقاموا مزرعة نموذجية بشبرا ترشد الفلاحين إلى أنسب الطرق للزراعة ...الخ ، وتزعم رئاسة هذه الأمور رجال فرنسيون كان مجموعهم 55رجل

لكن من هم هؤلاء الرجال ولماذا جاءوا إلى مصر ؟ وما علاقتهم بالطهطاوي وعلم الاجتماع ؟

هؤلاء الرجال هم من أتباع المفكر الفرنسي " سان سيمون " مؤسس علم الاجتماع ، أما لماذا جاءوا إلى مصر فقد جاءوا لضرب الإسلام عن طريق تلقيح أفكاره بأفكار سان سيمون ولهدف آخر أكثر تحديداً أسموه تغير نظرة الشرق المحافظ إلى المرأة ، وهي نفس الأفكار التي سعى إليها الطهطاوي وكرس لها حياتة وجهده وفكره

فرفاعة الطهطاوي أتصل أثناء بعثته إلى فرنسا "بأوجست كونت وجون مل " وكانت شخصيه الطهطاوي محل إعجاب لأوجست كونت

والخلاصة أن الأفكار التي حملها الطهطاوي والاتصال بالغرب قد مهدا لتأسيس علم الاجتماع في مصر ، وأثبتنا الارتباط بين الأهداف الماسونية وأهداف أتباع سان سيمون والذي نفذ معهم الطهطاوي ما سعا إليه من ضرب للإسلام وتغريب للمسلمين وإفساد للمرأة المسلمة عن طريق تلقيح أفكار الإسلام بأفكار سان سيمون

بعد ذلك يواصل احمد خضر انتقاداته إلى علم الاجتماع من الفصل السابع **إلى الفصل الحادي عشر ومن هذه الانتقادات انه ((غبش في التصور وان هناك تشويش في النظرية / انه ذو نزعة علمية مزيفه / إن علم الاجتماع رطانة غامضة / أن بحوث علم الاجتماع بحوث سطحية أو استعمارية)) وساق مبرراته في كل نقطة**

أولاً : لماذا هو غبش في التصور ؟

يرى أحمد خضر أن هناك تضارب بين ما درس في الجامعة في علم الاجتماع وبين الواقع

فيقول أنا تعلمنا من أساتذتنا التالي :

1 - أن الأحداث تتم بشكل متتابع منتظم

2 - أن الناس في حياتهم اليومية يقومون بملايين الأفعال الاجتماعية وأن هذا الكم الهائل من الأفعال لا يؤدي إل ى الفوضى والاضطراب بل يؤدي إلى ضرب من النظام يتمكن الفرد بمقتضاه أن يحقق أهدافه دون أن يتداخل مع أهداف الآخرين

3 – أنه يحلل الظواهر التي تنشأ نتيجة حياة البشر ويفسرها

ولكن بعد ثلاثين سنة في دراسة وتدريس علم الاجتماع اكتشف أحمد خضر بأن ذلك كلة سراب . لماذا؟

1 – اكتشف أن ما درسه هو مجرد أفكار فلسفية وقيم ومواقف أخلاقية تخص مجتمعات وثقافات تختلف عنا

2 – اكتشف أن الحياة الاجتماعية شيء عادي وسهل وبسيط يمكن التعبير عنة بلغة يسيرة يفهمها كل الناس وليست بالتعقيد الذي تعلمتاه

3 – أنة درس عشرات المفاهيم في علم الاجتماع ثم اكتشف أنها جزء قليل من مئات المفاهيم الغامضة التي لاتفيد في أي تحليل

4 – أن كبار ومؤرخي علم الاجتماع لم يقيموا لنا وزنا ولا احتراما وجعلونا موضع سخريه يقول مثلا " أن لبعض الأدباء والصحفيين حسا ووعيا فكريا لا يوجد عند علماء الاجتماع " وآخر يقول " إن لصحيفة واحدة أو لعمود واحد فيها يحظى بدرجة من الشعبية أو لبرنامج في الراديو أو التلفزيون جاذبية وتأثيرا واسع يفوق تأثير علماء الاجتماع ولو مجتمعين (وأنا أرى بأن هذا غير صحيح أبداً فقد يستطيع أن يظهر مثقف أو إعلامي ويكتب أو يتحدث عن أحد المواضيع الاجتماعية لكنه لن يتناول ا لموضوع كما يتناوله المتخصص في علم الاجتماع لأنة سوف يبحث عن الموضوع من وجهه اجتماعية من كافة الجوانب مع ضرب الأمثلة على الدراسات والبحوث التي بحثت في نفس الموضوع)

5 – أنه منذ أن ظهر علم الاجتماع وهناك اختلافات جوهرية بين علمائه حول طبيعته ، ومناهجه ، وأهدافه ، فلا تزال هناك تناقضات واختلافات بين العلماء لم تؤدي بهم إلى إجماع عام حول تفسير الواقع الاجتماعي والإطار الثقافي لأي مجتمع من المجتمعات

6 – أن هناك اعترافات من علماء الاجتماع الأمريكيين في اجتماعهم الثالث والأربعين الذي عقد في عام 1979بأن هناك توسعا كبير في أعداد علماء الاجتماع صاحبة ارتفاع في أعداد المجلات العلمية لكن لم يصاحبه ارتفاع في المستوى العلمي بل على العكس من ذلك نحن نسلم تماما بأننا أنتجنا قدرا ضخما من البحوث والتحليلات قليلة الجودة كما ان جهود الاعتماد على المناهج الكمية البحثية في إيجاد نظرية قد فشلت

ثانياً : تشوش النظرية :

يقول أحمد خضر ، تعلمنا إن البحث دون سند من نظرية ليس إلا نوعا من العبث لأن النظرية تمكن الباحث من فهم المجتمع في صورته الكلية وتعطيه إطارا للبحث في مناطق محددة وإن البحث إذا لم يجر في إطار فكري محدد ، فإنه سيكون محاولة عقيمة لا تتقدم خطوة في فهم المجتمع أما النظرية فإنها عندهم فإنها تستمد أصلا من نتائج دراسة أجريت في الواقع الاجتماعي في مواقف متعددة أما إذا استندت إلى دين أو عقيدة فهي في نظر أساتذتنا تصورية وغير واقعية

أيضا كان من الصعب علينا أن نجد اتفاقا بين علماء الا جتماع على نظرية واحدة أو تفسيرات محددة لما يتحدثون عنه فلقد كانوا مختلفين على أول مفهوم يجب أن يتفقوا عليه وهو : مفهوم المجتمع
والمشكلة الأخرى أن الباحث عندما يبحث في النظرية يجد أمامه كم كبير من النظريات فمثلا إذا كان الطالب يبحث في ميدان الجريمة وا جهته نظريات تقول له إن الجريمة مرتبطة بالبناء الطبقي للمجتمع ، وأخرى تقول إنها نتاج عوامل سيكولوجية وغيرها من النظريات
((ونحن نرى بأن ذلك أمر طبيعي لأن العوامل المؤثرة في الانحراف والجريمة عديدة ولا يمكن أرجعها إلى عامل واحد أو الاعتماد على نظرية واحدة))

ومن ضمن الانتقادات التي وجهها أحمد خضر لعلم الاجتماع أن علم الاجتماع ذو نزعة علمية مزيفة و أن اعتبار " علم الاجتماع " على انه علم غير صحيح لأنة يرى بأن دراسة الظواهر الاجتماعية بعد أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان على نشأة علم الاجتماع إلا أنها مازالت تتخبط بين الفلسفة ومحاولة إخضاع هذه الظواهر لنفس مناهج العلوم الطبيعية بل أن أفكار ومفاهيم كبار علماء الاجتماع الأوائل لم تكن نتيجة تحليل علمي بل نتيجة التخمين
وأن استخدام المنهج العلمي بالغ فيه علماء الاجتماع ، والأمر هو إننا صدقنا ذلك وغاب عنا أن الهد ف هو ألا نحاول التفكير في رد حركة الظواهر والعلاقات الاجتماعية إلى إلة أو دين أو عقيدة فالدين والعلم عند علماء

الغرب منفصلا ، وغاب عنا أن الجماعة الاجتماعية ليست كالمجموعة الشمسية وأن الناس ليسوا كالمواد الأرضية والأجرام السماوية من حيث تكوينها وحركاتها والتغيرات التي تطرأ عليها ، وتجاهلنا أيضا عند أخضعنا الناس للتجربة أن في ذلك انتهاك لحرماتهم واعتداء على حريتهم باسم العلم والمنهج العلمي ، وانه تعلمنا وعلمنا طلابنا خرافة المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة وأنه بإمكانهم عزل الظواهر الاجتماعية والتحكم فيها حتى يتوصلوا إلى تحقيق الظروف المتماثلة وهذا لا يمكن بل أن جون مل من أشد العلماء تعصبا للمنهج التجريبي ولكنة اعترف بأنه غير الممكن في الميادين الاجتماعية حدوث ظرفين متعادلين ومتكافئين من جميع النواحي إلا ناحية واحدة

أما الموضوعية في شؤون الإنسان والمجتمع فهي موضوعية نسبية ناتجة عن نسبية الرؤى المختلفة للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية

وأما استخدام علم الاجتماع للإحصاء والرياضيات ، فلم يحقق له صفة العلم واعترف علماء الاجتماع بأن استخدام الإحصاء في علم الاجتماع كان السبب في ضحالة أغلب النتائج التي توصلوا إليها وسطحيتها وتفاهتها وبالنسبة للقوانين فأن علماء الاجتماع يقرون بأن علم الاجتماع لم يتوصل إلى القوانين وإنما توصل إلى ما أسموه " التعميمات الأمبريقية " التي يتم التوصل إليها عند فحص العلاقة بين متغيرين وهذه التعميمات لا يمكن الأخذ بها لأن المجتمع في تغير وتطور مستمر

(وأنا أرى بأن الظواهر الاجتماعية في تغير وهذا صحيح وأيضاً أرى بأن هناك عدد من المختصين غير موضوعيين في كتاباتهم ، ولكن هذا لايعني

بعدم جدوى استخدام المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية ، فعلم الاجتماع من اسمه هو علم ، واستشهد هنا بقول الدكتور أنور حيث يقول " نرى أن بعض الباحثين يرون أن المنهج العلمي ينطبق فقط على العلوم الطبيعية فينسبون إليها الحتمية والتنبؤ والقوانين وينكرون على علم الاجتماع وحده لأن الإرادة البشرية تدخل في سير الظاهرات وأن الأهواء والمصالح الذاتية تجعل القوانين الاجتماعية ليست موضوعية خالصة وأن الحرية الإنسانية ضد التنبؤ وضد الحتمية والقول بتفرد الظاهرة الاجتماعية ، وهذا موقف من شأنه أن يجزأ المنهج العلمي وبهذا يعود علم الاجتماع إلى ماقبل ابن خلدون مجرد آراء وتحيزات شخصية ذاتية لا ترقى إلى العلم أبداً "

أما عن تغير الظواهر الاجتماعيةِ يقول " الظواهر الاجتماعية تختلف من مكان إلى آخر ومن زمان إلى زمان آخر ، ولكن لا يجب اتخاذ ذلك دليلا على عدم إمكانية دراستها دراسة علمية والوصول إلى قوانين تحكم هذا الاختلاف ، فعادات الناس تختلف من المدينة إلى القرية ومن مجتمع الى مجتمع آخر ، ومهمة هذا الـعلم هي الكشف عن الظروف أو العوامل التي تؤدي إلى هذه الاختلافات والتشابهات في أي ظاهرة ندرسها ، وهذا هو مايحدث بالنسبة للعلوم الفيزيقية والبيولوجية فليس هناك كائنان حيان في الوجود متشابهان تماما ومع ذلك فإن هناك قوانين عامة أمكن التوصل إليها بشكل عام ، وإذا أمكننا التواصل إلى فهم الظاهرات الاجتماعية أمكننا التنبؤ بهذه الظاهرات والتحكم فيها وعلى قدر ما نحقق من فهم تكون قدراتنا على التنبؤ والتحكم)م (أنور ،2004 : 28-32)

أيضا يرى بأن علم الاجتماع رطانه عامة و معنى كلمة رطانة الكلام الغير مفهوم ، و أن علماء ا لاجتماع يستخدمون مفاهيم جدا غامضة مع أن الحياة الاجتماعية ليست إلا شيئا عاديا يمكن التعبير عنه بلغة سهلة يسيرة المنال يفهمها الجميع ، لكن علماء الاجتماع يصرون على التعبير عن هذه الحياة بلغة معقدة مجردة إلى درجة أنهم جعلوا من علم الاجتماع تكنيكا له قواعد صارمة ، ويتطلب التمكن منه مرحلة من الإعداد الطويل والتدريب المتواصل ، كل ذلك سعيا وراء كسب الاحترام المفقود ورغبة في محاكاة علماء الطبيعة الذين يتمتعون بهيبة عالية في المجتمع

أما طلاب علم الاجتماع فقد انجذبوا لدراسته بناء على اعتقاد منهم بأن دراسة هذا العلم سوف تساعدهم على فهم فوضى الحياة الاجتماعية المعاصرة وأنه بإمكانه أن يقدم لهم حلولا إنسانية للمشكلات الاجتماعية ، لكنهم ما لبثوا أن اكتشفوا أن العلم الذي يدرسونه يتعثر في تحقيق ما كانوا يطمحون إليه ، ثم أدركوا أنه لا مكانة لهم ولا هيبة ولا احتراما حتى من قبل رجل الشارع العادي بعكس الاحترام الذي يلقاه رجل الطبيعة (بالنسبة لهذه النقطة نقول نعم فعلاً التخصصات النظرية جميعها ومن بينها علم الاجتماع لايلقى تقدير بعكس التخصصات العلمية ويرجع ذلك إلى عوامل اجتماعية وثقافية فالنظرة مختلفة مثلاً للطبيب البشري بعكس الط بيب البيطري مثلاً وللمهندس بعكس خريخ التاريخ ونضيف بأن المشكلة تكمن في جودة العلوم الإنسانية وتدني مستواها ، مما أدى بمطالبة البعض بإلغاء تلك التخصصات في دراسة المرحلة الجامعية، مع أن لهذه التخصصات أهمية كبيرة مثلاً على سبيل المثال ما هي أكبر إشكالية واج هتها تزال

المملكة خلال السنوات الأخيرة؟ إنها مشكلة الإرهاب والتطرف والاضطرابات الحاصلة على المستوى الاجتماعي والأسري والثقافي، فمن مسئول عن دراسة وتحليل وحل تلك الإشكالات؟ إنه المتخصص في ا لعلوم الاجتماعية فهو الذي يستطيع أن يدرس تلك المشكلة ويقدم الحلول والتوصيات ، إذا سبب تدني نظرة العامة للعلوم الإنسانية ومن بينها علم الاجتماع مرتبط بعوامل اجتماعية وثقافية)

اما بالنسبة للبحوث الاجتماعية فيقسمها أحمد خضر إلى قسمين

1) بحوث عادية محلية تجرى بجهد وتمويل محلي
2) بحوث تمول من الخارج أو بين الجامعات والمؤسسات مثل هيئة المعونة الأمريكية

وبالنسبة للنوع الأول يعاني من قصور و بإعترف من رجال الاجتماع حسب رأي أحمد خضر للأسباب التالية

1- أن مؤسسات البحث الاجتماعي تنشأ دون هدف واضح وتنظم بأساليب بدائية قاصرة ، ولا تستقطب غير القليل جداً من العناصر القادرة على العطاء

2- أن البحوث الاجتماعية بحوث جزئية تدرس الأحداث بعد حدوثها وتركز على الموضوعات ذات الجانب السلبي وأنا أرى بأن هذا أمر طبيعي أن يركز عالم الاجتماع على المواضيع السلبية للوقف والتصدي لها مثل العنف الأسري مثلاً وطبيعي أن يدرس مواضيع بعد حدوثها مثل الإرهاب على السبيل المثال لأنها مشاكل غير موجودة سابقاً

3- عدم فعالية نتائج هذه البحوث في التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، لان غالبية البحوث سطحية ومبعثرة وغير هادفة وتكتب بلغة لا يفهمها العامة ، وتقوم على فكرة اختيار عينة عشوائية عمديه في معظم الأحيان ، و تصمم استمارة بغض النظر عن ملاءمتها لموضوع البحث ، ثم تعرض في جداول طولية وعرضية ونسب مئوية للبيانات ، بل أن هذه البيانات من صنع الباحث لأنه حاصر المبحوث بإجابات بنعم ولا ؟
أيضاً اعترف رجال الاجتماع في بلادنا بأن غالبية المؤلفات العربية في المنهج تعتمد على النقل الكامل من التراث الغربي وأنا أرى أن المشكلة الأعظم الآن هو استنسخ المؤلفات العربية وتكررها مع تغير اسم المؤلف فقط وأضرب مثال كتاب التغير الاجتماعي للدكتورة دلال ملحس وكتاب التغير الاجتماعي لمحمد الدقس نجد أن كلا الكتابين به نفس المواضيع ونفس الأمثلة وان كان هناك إضافات فهي جداً بسيطة .

هذا بالنسبة للنوع الأول أما النوع الثاني فيشهد صدق ما قاله "جاك بيرك " من أن علم الاجتماع علم استعماري منذ اللحظات الأولى التي استخدم فيها في بلادنا وحتى الآن ، البحوث الأولى في علم الاجتماع كانت تجرى لخدمة مخططات الغرب وأجهزة مخابراته سواء لتسهيل دخول الاستعمار أو جمع المعلومات المختلفة عنها لإعادة تركيب نظمها وحياتها ، أما اليوم فإن عقول رجال الاجتماع في بلادنا تابعة لعقول علماء الاجتماع في الغرب إنهم يفخرون بمن ذهب واستقر منهم هناك واحتل مكانه في خدمة الأهداف الغربية وينظرون إلية على أنه عالم فذ قدرة الغرب ، وبذلك نجح الغربيون

إلى حد كبير في توظيف الخبراء الاجتماعيين من بلادنا في هيئاتهم الدولية ويغدقون عليهم بالدولارات لتقديم المزيد من المعلومات عن مجتمعاتهم وفي الفصل (الثاني عشر إلى الفصل التاسع عشر)

ينتقل أحمد خضر إلى موضوع آخر وهو أهمية الرجوع الى القرآن والسنة وليس عن طريق النظريات الاجتماعية الإلحادية فلا يمكن فهم الحياة الاجتماعية إلا من خلال الرجوع إلى الدين الإسلامي باعتبار الإسلام ديناً ونظام للحياة صالح في كل زمان ومكان ، لذلك يعارض رجال الاجتماع الدين الإسلامي لأنهم متأثرين بآراء علماء الاجتماع مثل اميل دوركايم و فيبر ، بل أنهم حاولوا تفسير الدين بالرجوع إلى أعمالهم وليس بالرجوع الى القرآن والسنة ، وحاولوا فصل الدين عن الدولة ، وعادوا ظهور الصحوة الإسلامية لأنها تعتبر نفسها حركه دين ودنيا ودولة فهي لا تقر أبدا في الفصل بين الدين والحياة الاجتماعية بصورة عامة

فيرى أحمد خضر أن فهم الإسلام يكون عن طريق القرآن والسنة وليس عن طريق المكتبة الغربية من خلال أعمال "أميل دور كايم " و " ماكس فيبر " فالابتعاد عن مصدرين أساسيين هما "القرآن والسنة " أدى إلى فهم الدين انطلاقاً من السياق النظري فهناك من يرى بجدوى الدين وهناك من يرى بأن لا جدوى في الدين على حسب المدرسة التي ينتمي إليها وبإقصاء القرآن والسنة دخل رجال الاجتماع فيما أطلقوا عليه البحث العلمي الأوسع لفهم الدين ،وإقصاء النصوص الدينية بحجة أنهم رجال علم وليسوا برجال لاهوت مع الحكم على هذه النصوص بأنها كلام متحجر فقد تأثيره ولم يعد

له دور يمارسه حتى الشعائر الدينية كالصلاة والصيام والحج أطلقوا عليها طقوسا وفهموها كما فهمها الغرب

وهنا مثال على تطبيق (فرحان الديك) فهمه لما يسميه الطقوس والشعائر الدينية حسب مفهوم (لوبرا) على الدين في المجتمع العربي :

يقول " لوبرا " إن ممارسة الطقوس وأداء الشعائر الدينية هما أكثر من ظاهرة أو فعل فردي ، فهما ظاهرة أو فعل جماعي

وللدين في المجتمع العربي وظائف اجتماعية وأهمها أن الدين وسيلة لتضامن المجتمع وأيضا وسيلة للضبط الاجتماعي حيث له الأثر الفعال في نشر الأمن والطمأنينة ، وبذلك قد يتصور البعض أن عبارات "لوبرا" عن التضامن والضبط الاجتماعي لا يتعارض مع الإسلام ، وهذا الكلام قد يكون صحيح عند من لا يفهمون حقيقة نظريات علم الاجتماع وموقفها من الدين فما قاله "لوبرا" وتبعة " فرحان الديك " يدخل تحت إطار "النظرية الوظيفية في الدين " وتقوم على فكرة الاعتراف بوظيفة الدين في المجتمع مثل تحقيق التضامن والضبط الاجتماعي لكنها تنكر في الوقت نفسه حقيقة الدين أي تقوم على الإلحاد كما تقر التعريفات الوظيفية للدين بأن الدين يفي بحاجات الناس الفردية والاجتماعية لكنها تنكر وجود ما يسمونه بالقوى والكائنات الروحية وغير المرئية "كالله والملائكة والجن والشياطين "

وعن سبب اتهام النظريات الاجتماعية بأنها نظريات الحادية يقول خضر في ص 177(أن رجال الاجتماع في بلادنا لا ينقلون لنا إلا النظريات الإلحادية والتأكيد على الصراع بين الدين والعلم وأن آراء علماء الغرب ونظرياتهم

تقوم على القاعدة العامة التي تسود الحياة الغربية وهي فصل الدين عن العلم وأن على رجال الاجتماع الذين يحاولون التوفيق بين الإسلام ونظريات علم الاجتماع إن يكفوا عن محاولاتهم لأن علماء الغرب قد أقروا بإلحاد هذه النظريات)

وإذا تسألنا لماذا يحاولون علماء الاجتماع إقصاء الدين ؟

لأنهم يعلمون أن الدين الإسلامي يشكل نمطاً للبناء الاجتماعي وإطار مرجعياً يلجأ إلية الناس بطريقة تلقائية للتفكير في هذا العالم الذي يعيشون فيه ويرفض علم الاجتماع ذلك لأنه يريد أن يقدم معطيات الحياة الاجتماعية من عنده

لذلك لجاء علماء الاجتماع إلى إقصاء الدين ليس هذا فحسب بل لجئوا إلى تفكيك الدين سعياً وراء " استقلالية العلم " بمعنى آخر الانفراد بتفسير شؤون الحياة الاجتماعية وفصلها تماماً عن الدين

ونقد علماء الاجتماع وتفكيكهم للدين لا يزال قائم مادامت الدولة تقاسمهم الهدف لذلك تعطي الدولة للعلوم الإنسانية قيمة أكبر من العلوم الطبيعية ، وهنا لا نستغرب أن نجد أن عداء رجال الاجتماع في بلا دنا مرتبط بعداء الدولة للدين والذي اتخذ خطوات وأبرز هذه الخطوات

1-التركيز على القومية كهدف أعلى مع تأكيد الدولة على رعاياها بالتأكيد على عدم الخلط بين الدين والدنيا

ثانياً – تطبيق سياسة العلمنة كتحد شامل وعام للدين خاصة ، لأن الدين في الإسلام لم يترك حيزاً من الحياة الفردية والجماعية دون أحكام وقواعد

وتأثيره حاضر باستمرار ولتحقيق هذا الاستقلال والانفصال بين شؤون الدنيا والدين قامت بما يلي

1- العمل على تحقيق العلمنة للمجتمع بتأسيس منظمات وجمعيات ثقافية ونقابية وحزبية وتنظيمية "كالنادي الرياضي أو التنظيم المهني أو السكني " تتوسط بين الفرد والمجتمع دون ضرورة للمرور على المؤسسات الدينية كما كان الحال في الماضي وبتأسيس هذه المنظمات يضعف اعتماد الفرد في تفسير أمور حياته على القيم الدينية وتتسع هذه المنظمات التي لاتقيم اعتبار القيم الفرد الدينية ولا تهتم إلا بمصلحة الفرد في ضوء هدفها الذي تسعى إلى تحقيقه

2- فصل المجالات الاقتصادية عن الدين ، بإعادة بناء المجتمع وفقا لمقتضيات ومتطلبات الإنتاج والاستهلاك بحيث تكون الكلمة العليا للربح والدعاية والتنافس ولا يكون هناك تأثير مطلقاً للأخلاق الدينية

3- التركيز على سياسة تحديد النسل وتدخل السلطات الرسمية فيها

ثالثاً - تصوير الحضارة الصناعية على أنها حضارة منافسة للدين متحدية له بما تقدمه من إمكانيات العلم والتقنية وتؤدي هذه العملية إلى أن يصبح العالم الفكري للإنسان عقلانياً فلا يحتاج بالتالي إلى الدين الذي ينظر إلى هذه الحضارة كما يتصور "فرحان الديك " نظرة ترقب وتجاهل

رابعاً - الاستفادة من انتشار العمران والحراك الجغرافي والاجتماعي بالتأكيد على التجديد والابتكار وبتعددية المواقف ونسبية الخيارات كل ذلك بقصد ألا تنطلق المواقف والخيارات من الدين وحدة

ويضرب أحمد خضر دليل على تشجيع الدولة الكتب الاجتماعية التي تحاول إقصاء الدين فيقول في ص 221 أن الدولة منحت كتاب بيومي في علم الاجتماع الديني جائزة تشجيعية في علم الاجتماع بالإضافة إلى أن هذا الكتاب تم طبعه ثلاث مرات ويدرس في أكثر من جامعة عربية

في هذا الفصل الخامس عشر وضع أحمد خضر حوار عبارة عن أسئلة وأجوبة واستنبط إجابات هذا الحوار من كتاب " علم الاجتماع الديني " لمحمد احمد بيومي

فيقول أحمد خضر أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابة العزيز (إن الدين عند الله الإسلام) وهذه حقيقة سهلة بسيطة قاطعة الوضوح لا لبس فيها، فلا يوجد قانون ينظم حياة الناس في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية إلا بالشريعة المنبثقة من الدين الإسلامي .

وإذا أقدمت على فهم الدين الإسلامي و أنت تحمل في عقلك حقيقة أن الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله من عقيدة وتشريع أنزلهما على رسوله محمد علية الصلاة والسلام ، استوقفك علم الاجتماع وقال لك أنت رجل "لاهوتي " أو رجل دين ، وانك تعتمد على أفكار مسبقة نابعة من وجهة نظرك المدافعة عن الإسلام

وإذا قلت إن هذه الحقيقة نص قرآني منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أجابك عالم الاجتماع – لا نعبأ بالنص وإنما بالوظيفة التي يؤديها النص في حياة الناس

إذا سألت : أليس الدين هو الذي يقدم ما يفيد الإنسان ؟

أجاب عالم الاجتماع : هناك تناقض في جوهر الدين فالدين قد يكون مفيد في بعض الأحيان لأنه يحمي الإنسان من الشذوذ لكنة ضار أيضاً لأنه يعزل الإنسان من الشذوذ لكنه ضار أيضاً لأنه يعزل الإنسان عن العالم ويعمل على إعاقة التطور الاقتصادي في المجتمع لأنة يقف ضد مثلاً ضد الاقتصاد الربوي وضد التعليم العلماني وهذه أمور مطلوبة للمجتمع الحديث يعوقها الدين

وإذا سألت : ماذا تقول في شعائر الدين كالصلاة والصيام والحج ؟

إنها مجرد وسائل . إما أنها تلبي رغبة الإنسان في التحكم في الطبيعة وإزالة الخوف الذي ينتابه من القوى الطبيعية وخاصة عند الأمور غير المتوقعة التي تثير لدينا الرعب والخوف كعدم إمطار السماء والرياح التي تثير الخوف فهم يؤدون هذه الشعائر ولا يسألون أنفسهم لماذا يؤدونها المهم أنها تزيل عنهم القلق الذي ينتابهم

وإذا سألت : هل توصل علم الاجتماع إلى تعريف محدد للدين ؟

الأمر الذي نتفق علية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا هو أن الدين من صنع المجتمع والثقافة ، وأن الدين أسلوب من الأساليب البدائية في التفكير الذي لا يزال يميز بعض الثقافات الدنيا في سلسلة التطور ، والاهتمام بالدين لا يكون إلا من الناحية التاريخية فقط ، لكنه لا يناسب المجتمع الحديث ، وخلاصة ذلك أن الدين غير حقيقي وغير عقلاني في المجتمعات الحديثة

وإذا سألت : ألا زال علم الاجتماع يصر على فصل الأخلاق عن الدين ؟

أجابك عالم الاجتماع ، نعم ، بل أن غالبية علماء الاجتماع يسعون إلى إحداث تغيرات أساسية في شكل الأخلاق الدينية وأن هذه التغيرات ستؤدي

إلى تحولات دينية واجتماعية يتم التأكيد فيها على أنه ليست هناك أخلاق دينية في عزلة تامة عن الأحداث والظروف الاج تماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الذي نبعت منه

وإذا قلت : إن هذه التحولات الأخلاقية المفصولة عن الدين ستؤدي حتما إلى انهيارات نفسية وعصبية ، فماذا أعد علم الاجتماع لذلك ؟

أجابك عالم الاجتماع ، هنا يقوم علم النفس والتحليل النفسي بأدوارهما عن طريق تقديم بدائل عن الدين ، للتخفيف من حالات القلق وعدم الطمأنينة التي يصاب بها الناس بسبب مواقف الضغوط المتعددة ، ويلزم هنا احتواء علماء الدين ورجاله وجرهم إلى دراسة مسائل علم النفس والتحليل النفسي كما حدث في الغرب

ويتضح مما سبق أن كتاب أحمد بيومي يؤكد على أن الاهتمام بالدين لا يكون إلا من الناحية التاريخية لكنه لا يناسب المجتمع الحديث وخلاصة ذلك أن الدين بمعنى أو بآخر غير حقيقي وغير عقلي في المجتمعات الحديثة وبهذا عاد أحمد بيومي الإسلام ، وليس هو وحدة من عادى الإسلام بل هناك المسلمون الفيبريون نسبة إلى العالم الألماني ماكس فيبر هم جماعة محدودة من رجال الاجتماع في بلادنا ، تأثروا بفكرة وأخذوا على عاتقهم مهمة نشر هذا الفكر وإعداد ما يسمى بالمكتبة الفيبرية التي تترجم أعمالة إلى اللغة العربية ، وكان فيبر يكن عداء عميق ضد الدين الإسلامي ، وكان ينظر إلى الأوربيون إلى الإسلام على أنه الخطر الرئيس العسكري والخلقي

للمسيحية وكانوا يرجعون نجاحه وقوته وعظمته إلى عنف وهمجية المسلمين

فالمسلمون الفيبريون هم " عقلانيون وعلمانيون " في آن واحد أيضاً والعقلانية عرفوها بأنها ازدياد السيطرة المنظمة على جوانب الحياة الإنسانية على أساس قواعد ومنظورات لا شأن لها بالدين أو رسالة ، أنها تعني إحلال النظم القضائية والقانونية محل شريعة الله ، وتعني أيضاً تحرير الإنسان من الإيمان بالله وبالدين وبالغيبيات

ولكن يدركون أن القضاء على الإسلام أمر مستحيل ولهذا فهم يعملون على إعطاء الإسلام وظيفة اجتماعية بمعنى أن يسمحوا له بأن يكون مورد من موارد الثقافة القومية والتكامل الاجتماعي مع الحيلولة دون دخوله القطاعات السياسية والقانونية والتعليمية ، وبهذا يطمح الفيبريون إلى فرض العلمانية الكاملة حتى في أدق الأشياء في اللباس مثلاً والسلوك وحتى في تفاصيل العبادات الإسلامية مثل منع الأشرطة والكتب الدينية

وفي كتاب فيبر (الاقتصاد والمجتمع) عرض فيبر الإسلام في هذا الكتاب بطريقة فيها عدوانية وكراهية للدين الإسلامي ، جذوره مسيحية يهودية ، ويعتمد نجاحه على الانتصار العسكري على الأرض ، وخرج بفكرة وهي "الكارزمية " التي نسبها إلى الأنبياء ، والسلطة الكارزمية عند فيبر سلطة لشخص له نوع من القداسة أو البطولة وبعض الخصال النادرة وهي سلطة تعتمد على بعض الأعمال السحرية أو الخارقة للعادة ، وراح البعض بغباء يطبقها على النبي وبناء على ذلك يكون النبي رجل بنى سلطته على السحر يدعي بأنه يوحى إليه وأن القرآن الذي أتى به معجزة ، بل ترجم المسلمون

أيضاً كتب فيبر إلى العربية وبنقل حرفي تحت علم " أمانة النص" فنقلوا لنا على لسان علماء الغرب (أن الله دمية حية) تعالى الله عما يقولون بل الأعظم من ذلك أن هؤلاء لم يكتبوا بكلمة دفاع عن النبي أ و الإسلام لو بكلمة في حاشية ترجماتهم

لذلك عادى رجال الاجتماع الدين والصحوة الإسلامية وحركاتها ، لأنهم فوجئوا بأن الدين يستعيد حيويته ويفرض هيمنته على جميع جوانب الحياة ، وأسقطت بذلك الصحوة الإسلامية تلك العقلانية التي تعلق بها رجال الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي والسياسي

وتوصل رجال الاجتماع في بلادنا في تحليلاتهم للصحوة الإسلامية وحركاتها إلى ما يلي :

1 – أن هدف الحركات الإسلامية هو العودة بالمجتمع العربي الإسلامي إلى النموذج الذي وجد في صدر الإسلام أيام الرسول صلى الله علية وسلم والخلفاء الراشدين
2 – تصر هذه الحركات على أسلمه المجتمع وعلى اعتبار الإسلام ديناً ودولة ، وبأن الإسلام نظام حياة شامل يصلح لكل زمان ومكان
3 – ترفض هذه الحركات العلمنة وتعتبر نفسها حركه دين ودنيا ودولة فهي لا تقر أبدا في الفصل بين الدين والحياة الاجتماعية بصورة عامة
4 – لا تختلف الموضوعات التي تتمحور حولها الحركات الإسلامية من بلد عربي إلى آخر

5 – الحركات الإسلامية متعددة الأبعاد تشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية من تعليم واقتصاد وسياسة أي انها حركة شمولية

وبذلك اعتراف رجال الاجتماع بفشل التحليلات الماركسية :

يقول الأستاذ محمد قطب جاءت الصحوة الإسلامية في موعدها المقدور من الله

فعترف الماركسين العرب من رجال الاجتماع على خطا تحليلاتهم في تفسير الصحوة الإسلامية واعترفوا أيضاً بخيبة أملهم في العقلانية ومن هذه الاعترافات

أولاً :اعتراف الماركسيون العرب من رجال الاجتماع بفشل قولهم بارتباط الدين بالتراجع والتقهقر ، وارتباط العقلانية بالصمود والتطور .

ثانياً : اعتقد الماركسيون العرب من رجال الاجتماع بأن ما يسمى برجل الدين قد اختفى وزال من الساحة بسبب القدوم المظفر والمنتصر لرجل التقنية واعترفوا بأن زوال ما يسمى برجال الدين مغالطة لا تشاهد في التاريخ

ثالثاً : علل الماركسيون العرب ظهور الصحوة الإسلامية بسبب عدم نضوج التركيبة الطبقية العربية ، بمعنى أن المجتمعات العربية لا يوجد لديها ما يقابل أو يعادل طبقتي " البرجوازية و البروليتاريا " فضعفها الملحوظ في مجتمعنا العربي ساعد على ظهور الصحوة الإسلامية ، ثم

يعود الماركسيون العرب من رجال الاجتماع إلى الاعتراف بفشل هذا التحليل استناداً إلى أن هذا التحليل اعتمد على المماثلة والقياس بالغرب وهذا غير صحيح لأن هاتين الطبقتين في المجتمعات العربية تختلفان من حيث السلوك عن النموذج الأصلي لهما ومن ثم وصفوها بعدم النض ج واللاعقلانية الذي مهد لظهور الصحوة الإسلامية

رابعاُ : تبنى بعض الماركسيين العرب من رجال الاجتماع فكرة أن هزيمة 1967وتدهور الظروف الاجتماعية والاقتصادية هي السبب الرئيس لظهور الجماعات الإسلامية ، ومن ثم اعترفوا بعدم ارتباط ظهور الجماعات الإسلامية بانحطاط وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية أو تطورها ، فيقول علي الكنز أن ربط انتشار الدين بالانحطاط أو التطور الاقتصادي والاجتماعي منزلق وقع فيه رجال الاجتماع واستدل الكنز أيضاً باليابان في الحاضر المعاصر التي تربعت على عرش الاقتصاد العالمي مقابلة بالصين ، فا ليابان ربطت الدين بالمجتمع والدولة ربطاً عضوياً ، وفعلت الصين المستحيل لمنع ذلك .

وفي النهاية تعلم العرب الماركسيون العرب من الصحوة الإسلامية درسا قاسيا آخر هو أن الدين يمكن أن ينوب عن رمزيتهم العقلانية ، وتعلموا أيضا أن الإسلام لا العقلانية هو المطابق للوسط الثقافي المحلي وللمرجع التاريخي والحضاري للشعوب وأخلاقياتها ، وتعلموا درس آخر شديد القسوة من الصحوة الإسلامية وهو قدرة الإسلام على الانتشار الواسع والمحلي والوطني وقدرته على إفشال الأحزاب والحركات السياسية العلمانية

إما بالنسبة لشباب الجماعات الإسلامية فيتهم رجال الاجتماع في الفصل التاسع عشر" شباب الجماعات الإسلامية " بأنهم يمثلون شخصيات مريضة وأنهم مرضى عقليون يعانون من الجنون على حد تعبير سمير نعيم

وشباب الجماعات الإسلامية يطلق عليهم " شباب متطرف " وهم حسب تعريف علماء الاجتماع هم الذين لا يقبلون معتقداً غير الإسلام ويعتقدون أن الإسلام صادقاً وأبدياً وأنة صالح لكل زمان ومكان

وإذا كان الشباب الإسلامي كذلك فما هو البديل عند سمير نعيم ؟

يقول أن البعض قد يلجأ إلى الهجرة هروباً من المشاكل ولكن هذا الحل غير متاح للجميع مثل الأسر الفقيرة ، وقد يلجأ البعض إلى ممارسة أعمال غير مشروعة كالاتجار بالمخدرات ، أو الجريمة ، أو إلى إدمان المخدرات

وأخيراً يصاب البعض باضطراب نفسي وعقلي عندما يعجز عن الحلول المشروعة والغير مشروعة بسبب ما يتمتع به من قيم ايجابية وبالتالي فإن المجتمع المصري سيشهد تزايداً بهذه الأمراض ، وهذا خطا فادح وقع فيه سمير نعيم لأنه أثبت أن شباب الجماعات الذي لجأ إلى الدين وتمسك بالقيم الايجابية أصيب بإمراض لان اللجوء الى الدين هروب من الواقع وتعلق بأمل كاذب في الخلاص من المشكلات الاجتماعية

ونسجل بعد ذلك على سمير نعيم شهادته واعترافه بأصالة القيم التي يحملها شباب الجماعات الإسلامية ، لأن هذه القيم تمنعهم من الوقوع في الأعمال الإجرامية الغير مشروعة والغير أخلاقية

إذاً رجال الاجتماع متخوفين من نمو التيار الإسلامي في مصر وتعاظمه وتحول مصر بالتالي إلى مجتمع يسوده الطابع الإسلامي ، ويعتبرونه طابع غريب على مجتمع مصر وأنه حمله العائدون المصريون من السعودية وانتقل بالتالي إلى الأسر المصرية .

وفي نهاية الكتاب يتساءل أحمد خضر هل نحن بحاجة إلى علماء الاجتماع ؟ أجاب علماء الاجتماع أنفسهم وبأقلامهم (بلا)
فيقول إن علم الاجتماع دخل إلى الجامعات العربية فبعد سبعة وسبعين عاما من هذا النمو والازدهار والتضخم الكمي والمؤسسي في علم الاجتماع (المنقطع عن الإسلام) اجتمع رجال الاجتماع العرب في تونس عام 1985لمناقشة محصلة هذا الانقطاع تحت عنوان " نحو اجتماع عربي " وكان من أهم نتائج هذه الندوة الاعتراف الصريح بأن ا لوطن العربي يستطيع أن يعيش ويزدهر بدون علماء الاجتماع
فلو اختفى كل علماء الاجتماع فجأة في الوطن العربي ؟ أيضاً لن يحدث شي سلبي أو إيجابي ، فهناك مجتمعات تطورت دون أن يوجد فيها فئة مهنية تسمى علم الاجتماع مثل اليابان في ثلاثينيات هذا القرن ، كذلك ليس هناك ما يثبت قطعيا أن بريطانيا وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة ما كان لها أن تتقدم خلال القرنين الأخيرين لولا وجود علماء الاجتماع فيها
كما ان هناك عدة اعترافات سجلها رجال الاجتماع منها

1 – الاعتراف بأن علم الاجتماع نما وترعرع على هامش المجتمعات العربية دون أن يحس به سوى أتباعه أما رجل الشارع فلا يدري عنه شيئا

2 – الاعتراف بأن علم الاجتماع نشأ وتطور ومازال هزيلا غير قادر على توفير نظرية خصبة ، وأن المتخصصين لم يساهموا لا في صياغة مشكلات الوطن العربي ولا في اقتراح الحلول لها

3 – الاعتراف بأن المعرفة التي أنتجها رجال الاجتماع هزيلة ، و أن وجودهم هامشي وتأثيرهم على المجتمع محدود ، وأن طالب المعرفة في الواقع الاجتماعي يمكن أن يجدها في كتابات غير كتابات علم الاجتماع

4 – الاعتراف بأن المتخصص في علم الاجتماع نادرا ما يأتي إلى دراسته في علم الاجتماع برغبته وإرادته لعدم وجود بديل م تاح أمامهم ، وأن المناهج وأساليب التدريس وهزال الكم من المعرفة في علم الاجتماع لا يساعد على تنشئة المتخصص فيه تنشئة سليمة

5 – الاعتراف بأن المؤلفات العربية في علم الاجتماع سيئة وسطحية ومترجمة ومستعارة من واقع آخر ، بالإضافة إلى أنها سريعة الإنتاج ومؤلفة أساسا لتحقيق الكسب المادي السريع

وعندما نتساءل عن ما هو العلم الذي يدرس بدلا من هذا العلم الملغي : يقول الدكتور خضر: إنه يجب تدريس الإسلام، فالإسلام هو العلم الشامل

الكافي لحراسة المجتمع ونموه وتطويره، وهذا الإسلام قادر على تشخيص أمراض المجتمع وعلاجها.

إما عن وجهة نظري الشخصية أقول (نعم الدين الإسلامي ، دين شامل للحياة الاجتماعية ، بل أن الإسلام سبق هذه النظريات بعدة قرون في التنويه والإشارة إلى علاقة الإنسان ، وتأثره بكل من البيئة المادية والاجتماعية في تكوين شخصيته وصياغة نمط سلوكه ، كما سبق الإسلام ال نظريات الاجتماعية الحديثة في التنويه بأثر التنشئة الاجتماعية ، والتربية الثقافية والمحيط الاجتماعي القريب فيه والبعيد على الفرد وعلى تكوين شخصيته وأخلاقه وسلوكه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) وهذا دليل واضح على تأثير البيئة والمحيط على الفرد ، وأهم من ذلك تأثير التربية والتنشئة الاجتماعية على ميول وسلوكيات الأفراد ، بالإضافة إلى تأثير الجليس والآباء والأخوة والأقارب وغيرهم من المحيط الاجتماعي .

ولكن هذا لا يعني أننا لسنا بحاجة إلى علم الاجتماع ، بل بالعكس نحن بحاجة إلى علم الاجتماع ، وبحاجة إلى إجراء الدراسات والبحوث ، لكي نقدم الحلول والتوصيات لكثير من المشكلات التي تواجهه مجتمعاتنا مثل انحراف الأحداث، الإدمان ، الإرهاب وغيرها من المشاكل
ولكن المشكلة أن هناك تشكيك زاد في السنوات الأخيرة بأهمية هذا العلم والسبب أن علم الاجتماع يعاني من عدة مشاكل في العالم العربي أهمها

1- أننا نقلنا وترجمنا الأعمال الأجنبية بدون أن نطور نظريات خاصة بنا فهنا يقول عبد القادر عرابي " لن يقوم علم الاجتماع بوظائفه الثلاث وهي الإنتاج العلمي والتأمل النقدي للمجتمع والوظيفة المعرفية مالم يتوطن في أرضه ويطور مقولاته استناداً إلى التراث العربي الإسلامي وإلى دراسة الواقع فبدون نظريات خاصة لا يوجد علم اجتماع "م (عرابي ،51:2001) .

ويقول أيضا حميد الشاكر "الواقع أن نشأة العلم في عالمنا العربي، والتي بدأت مع تباشير القرن العشرين جاءت معبرة عن واقع أزمة العلم ذاته، من حيث تبعيته المطلقة للمنتج الغربي، الأوروبي بالأساس، في ذلك الوقت. فما قامت به المدرسة المصرية على سبيل المثال تم من خلال ترجمات الرواد الأوائل للمدرسة الفرنسية والبريطانية بالأساس . ومن هنا فإن تبرير تلك التوجمات يستند إلى الرغبة في التعريف بالعلم، وفتح مجالات جديدة أمام الأجيال الجديدة للاستفادة من تلك الترجمات، مع محاولة التطوير المحلي لهذا العلم، وصبغه بالشكل والماهية العربية، وهو ما لم يحدث بدرجة كبيرة حتى الآن .

ففي ضوء الواقع العربي المحافظ من ناحية، وفي ضوء السياق السياسي القابض والمتحكم من ناحية أخرى، وفي ضوء تلك العلاقات والأدوار المحافظة التي قام بها القائمون على هذا العلم ذاته وارتباطهم بالتوجهات السياسية، فإن العلم لم يستطع أن يفرض لنفسه توجهاته العربية الخاصة به، كما لم يستطع أن ينتج تنظيراته المحلية المرتبطة بالواقع العربي المعيش. فالمتأمل للمنتج العربي المعاصر الخاص بعلم الاجتماع يجده

دائماً وأبداً ملاحقاً بدرجة أو بأخرى لما تنتجه ماكينة الإنتاج الغربية الأمريكية والأوروبية على السواء، وفي أحيان كثيرة بشكلٍ مشوه لا يرقى لمستوى المنتج الغربي ذاته. أما أن ننتج نحن نظرياتنا ونتابع مشكلاتنا فإن هذا لم يحدث إلا عبر المستويات الفردية المتناثرة هنا وهناك. وحديثنا هنا ليس عن تلك المستويات الفردية المتشظية والمتناثرة بقدر الرغبة في الحديث عن وجود مدارس سوسيولوجية عربية حقيقية متابعة للواقع العربي وراصدة تحليليا ونظريا واستراتيجيا لتحولاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة، وأن الأستاذ علي الوردي أستاذ علم الاجتماع العراقي والعربي على حق عندما التفت إلى كون علم الاجتماع هو وليد بيئته ومجتمعه وتراثه وتاريخه الخاص ، والذي له منتجات ومشاكل وتصورات وتراكيب ..... اجتماعية تختلف حسب اختلاف هوية الأمة ومرتكزاتها القومية لهذا الشعب أو ذاك ، فهو يقول ومقولته حقيقة بهذا الصدد :(أننا بحاجة إلى علم اجتماع خاص بنا يستمد اطاره من تراثنا الاجتماعي ويستند على دراسة واقعنا .

لست بهذا انتقص من قيمة علم الاجتماع الحديث او استهين بإهميته في دراسة مجتمعنا ، أنما يجب أن لانكون فيه مقلدين حيث نأخذ بكل ماجاء به من نظريات ومفاهيم ثم نحاول تطبيقها على مجتمعنا ، بغض النظر عن الفروق بينه وبين المجتمع الذي نشأ فيه علم الاجتماع الحديث)

2- الإشكالية الثانية نوعية الطلاب الملتحقين بهذا القسم يلتحقون به بدون أن يفهموا ماهيته هذا العلم و معظمهم التحقوا بها لأنهم لم يجدوا مكانا آخر يقبلهم، وهو الأمر الذي يكشف في النهاية عن نوعية الطلبة الملتحقين بهذا

الفرع الهام من العلم المطلوب منه فهم التحولات الاجتماعية المختلفة بكافة أشكالها وتجلياتها والعمل على رصدها وتحليلها. ولعل ذلك يتوافق مع رؤية العامة لهذا العلم ذاته، فمن الأمور المضحكة في هذا السياق أن الكثير من العامة يتصورون أن المشتغلين بهذا العلم وظيفتهم حل ما يطرأ من خلافات ومشكلات بين الناس، وأنهم يتمتعون بقدرات عالية خاصة بالتواصل مع الآخرين وعلى القدرة على إقامة علاقات اجتماعية واسعة مع الآخرين. لى عدم تفعيل دراسات العلوم الاجتماعية ودعمها بالشكل المطلوب لفهم المجتمع ورصد التغيرات التي يشهدها والتحولات التي يعيشها، ومن ثم اقتراح العلاج الناجع لها.

3_ المشكلة الأخرى أن غالبية المتخصصين لهذا العلم يكادون شبه غائبون عن البحوث والدراسات ، والأسباب كتالي

1- يعاني المتخصصين في هذا العلم من عدد ساعات العمل الزائدة وبالتالي عدم تفرغهم للبحث العلمي

2- ضعف تشجيع البحوث ودعمها

أيضاً هناك نقطة أود أن أوضحها وهي أن علم الاجتماع فعلاً يحارب للأس ف في التعليم العام والشواهد عديدة منها :

وهنا يقول الدكتور د. عبد العزيز بن علي الغريب من جامعة الإمام

1_ أن مقرر علم الاجتماع قد ألغي من التعليم الثانوي وفق خطة التعليم الثانوي الجديدة التي بدأ تطبيقها على عينة من المدارس تمهيداً لتعميمها، وهو نظام يأتي ضمن سلسلة تطوير أنظمة التعليم الثانوي

التي مر بها تعليمنا، ، وتبين أن هذا المقرر استعيض عنه بمقرر بمسمى (مهارات حياتية)، والمعتمد هو أن مفردات هذا المقرر، تترك لاجتهاد المعلم ، واختيار هذا المعلم متروك لمدير المدرسة، والذي عادة ما يكلف به أخفهم نصاباً !!فلهذا الحد وصل الاستهتار بعلم الاجتماع ، رغم الدور المهم المناط به في الخطط الدراسية، فالأبحاث، أكثر من أن تحصى للتأكيد على أهمية علم الاجتماع في المجال التعليمي بشكل خاص، والدور الرئيس في إكساب الطلاب عدداً من القيم الاجتماعية لأبنائنا والدور المهم له في إبراز الدور الأهم لمؤسسات التنشئة الاجتماعية، وإكساب الطلاب القدرة على امتلاك مهارة تحليل المشكلات ومهارات إدراك طبيعة التغيرات الاجتماعية، وغيرها الكثير ، وهذا ليس تحيزاً بل هو واقع أثبتته الأبحاث العلمية

- 1 ألغيت وظيفة المشرف الاجتماعي في مدارسنا، واستعيض عنها بالمرشد الطلابي، وقامت الوزارة بالتعاون مع بعض الجامعات باستحداث برنامج للدبلوم في هذا التخصص، صيغت مقرراته بطريقة (قص ولزق)، دون وضوح هوية علمية لهذا التخصص الوليد، فأخذ من علم الاجتماع وعلم النفس، وأطلقت مسميات عليه لتلافي تلاقيها مع مقررات في علم الاجتماع. ثم استحدثت إدارة للإرشاد الطلابي، بإلغاء إدارة الإشراف الاجتماعي، فكان التغيير في المسميات فقط، وبقي الحال كما هو عليه، ويشعر المرء أن هذا التغيير كان لهوى أكثر منه نتيجة لدراسات علمية متخصصة. بل وظلت المشكلات الاجتماعية والسلوكية كما هي، وأثقلت الأسر بمشكلات أبنائها، ولم تعد وسيلة

الاتصال بالمدرسة، وخالفنا معظم دول العالم، فلا زال المشرف الاجتماعي، جزءا رئيسا من البناء التنظيمي في المدارس ولمختلف المراحل إلا في مدارسنا .

3- في مقررات السلوك، والتربية الوطنية، لم يشارك أي من أساتذة علم الاجتماع في صياغتها، رغم أن محتوياتها كلها تصب في القيم الاجتماعية والوطنية، والانتماء، وبعض العمليات الاجتماعية، كالتعاون والحث على العمل، وغيرها كثير. لكن سميت بتلك المسميات لهوى في نفوس بعض الزملاء المختصين في التربية، مع الأسف الشديد، وغيب علم الاجتماع عن صياغة تلك المقررات، ولماذا لم يطلق عليها مقرر)التربية الاجتماعية)، منذ المرحلة الابتدائية، ويدرسها المتخصص في علم الاجتماع، ولكن هناك من سعى لتلافي ذلك حتى لا تكون فرصة لخريجي علم الاجتماع للتدريس، وأصبح يُدرّس تلك المقررات مدرسو مختلف التخصصات، فما الفائدة التي جنينها من هذه المقررات، ونحن ننظر لها أنها مقررات تكميلية؟ رغم أن التربية قبل التعليم . لذلك المطلع على تلك المقررات والتي تبدأ من المرحلة الابتدائية، يلحظ التكرار، والازدواج في كثير من المفردات في تلك المقررات، ويتضح منها مسميات لمفردات متخصصة في علم الاجتماع، ولكن لم تتواجد روح المتخصص في علم الاجتماع في صياغتها .

4-استحدثت وزارة التربية والتعليم مؤخراً بعض الوظائف ضمن الهيكل الإداري للمدرسة والتي منها وظيفة مشرف نشاط اجتماعي

وثقافي، ومشرف توعية صحية، أو قريب من هذا المسمى، وللأسف يكلف بها مدرسو التربية البدنية، والفنية، وغيرهم ممن يخفض نصابهم ويكلفون بهذه الأعمال، فأين خريجو علم الاجتماع من هذه الوظائف

-5لم يحظ علماء الاجتماع وأساتذته بإلقاء المحاضرات التوعوية والثقافية والتوجيهية في المدارس منذ أعوام كثيرة، وكأن هذا العلم ليس له دور في المجتمع، بل الأمر يحز في النفس عندما يستدعي غي ر المتخصص في علم الاجتماع لإلقاء محاضرة في قضايا اجتماعية . .

المراجع :

المرجع الأساسي

1 – خضر ، أحمد " اعترافات علماء الاجتماع، عقم النظرية وقصور المنهج " المنتدى الإسلامي ، لندن

2 – أنور ، أحمد " وحدة المنهج العلمي وأزم ة المنهج في علم الاجتماع " 2004،القاهرة ، مركز المحروسة للنشر

3 – مراد ، جمال " القبائل البدائية ،بحوث انثربولوجية " 2000

4 – عرابي ، عبد القادر" دراسات في علم الاجتماع المعاصر "2001،در الخريخي للنشر

5 – مزروعة ، محمود " مذاهب فكرية معاصرة " 1427، دار الرضا ، مصر

6 - الموقع الرسمي للدكتور حميد الشاكر " من الانترنت "